التعليق على القواعد الأربع

للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (توفي ١٢٠٦ هـ)

تأليف: أبو علاء بن غازي آل ممدوح (غفر الله له ولوالديه)

١٤٤٥ هـ

التعليق على القواعد الأربع

للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

(توفي 1206 هـ)

تأليف

أبو علاء بن غازي آل ممدوح (غفر الله له ولوالدته)

إصدار معهد الحنابلة

الطبعة الأولى

جمادى الآخرة 1445 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

"أنقر على الموضوع للانتقال إليه"

الموضوع .... رقم الصفحة

المُقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

وبعد: فإنَّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

هذا تعليق مختصر، على متن الإمام محمد بن

عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - فككتُ فيه العبارات، وجمعتُ أصول المسائل، ليكون دليلًا للطالب، وضياءً للمُسترشد، سائلًا المولى تبارك وتعالى أن ينفع به المسلمين، ويتقبله مِنِّي خالصًا لوجهِهِ الكريم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الغُرِّ الميامين.

*****

كتبهُ: أبو علاء بن غازي آل ممدوح، في التاسع من جُمادَى الآخِرة، لسنة 1445 للهجرة العظيمة.

من هو مؤلِّفُ الرسالة

هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي، من مواليد بلدة عُيينة عام 1115 للهجرة النبوية.

وهو علم من أعلام المتأخرين، ترعرع في بيت غنيّ بالعلم والفقه والأدب والمعرفة، يذكر أنه رحمه الله أتمّ حفظَ كتاب الله قبل الثانية عشر من عمره وقيل قبل العاشرة، وكان له اهتمام واسع بتراث ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ومن خلال دراسته الواسعة لكلامهما استطاع بفضل الله تأسيس الشخصية العلمية الداعية لله بالصبر والجهاد.

وُصِف الشيخ محمد بالذكاء وسرعة البديهة والتحرر من التقليد الأعمى الذي كان يشوب الجزيرة العربية قبل ظهور دعوته ووضوح تأثيرها، فقد كانت الجزيرة قُبيلَه مضرب مثل في الجهل والشرك والبدع.

وكانت مسيرته مشرّفة من خلال نشر التوحيد ونبذ الشرك، فقد ركِبَ وهاجر وطلب ودعا واعترضته الصّعاب في سبيل الله تعالى نحسبه والله حسيبه.

أفنى أغلب حياته في التدريس والتأليف والدعوة حتى ظهرت السنة ومُحِقت البدعة وتأسست دولَة مسلمة أرّقت المشركين

وبرّدت أفئدة الموحدين، فصارت دار هجرة في عصره رحمه الله.

توفي رحمه الله عام 1206 للهجرة، بعد إحدى وتسعين سنة حافلة بالعلم والدعوة والجهاد [1].

*****

(1) ترتيب الفصول في شرح ثلاثة الأصول (ص 3).

مقدمة المتن

قال الشيخ مُـحـمَّـد رحمه الله تعالـى:

❖ (بسم الله الرحمن الرحيـم).

ابتدأَ المصنفُ - رحمه الله - رسالته بالبسملة مقتصرًا عليها، ولم يبدأها بالحمدلة والصلاة مقتديًا بالسنة فيما استفتح به النبي ﷺ رسائلَهُ إلى الملوكِ، وهذا دأبُ الشيخ - رحمه الله - في رسائله، إذ إنه يقتصد على البسملة اقتداءً بالهديِ النبوي.

وتقدير البسملة هاهنا أي: أبدأ رسالتي مستعينًا باسم الله المألوه، المعبود، المستحق للعبادة وحده لا شريك له، الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء خلقه، {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، الرحيم بعباده المؤمنين، {وكان بالمؤمنين رحيمًا}.

❖ (وبه نستعين).

الواو: للعطف، والباء: للجر، والهاء: ضمير عائد لله في محل اسم مجرور، فيكون تقدير الكلام: "بالله نستعين".

وناسب المقام هنا أن يطلب العون من الله عز وجل؛ لأن الدعوة لدين الله ولسنة نبيه ﷺ من أعظم العبادات وأجلها، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، فيكون قوله هاهنا: اقتداءً بقوله تعالى: {إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين}، فناسب هذا المقام أن يطلب العون من الله على تحقيق هذه العبادة العظيمة.

وقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.

❖ (أسألُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

أي: أطلب من الله الكريم بمنه وفضله وعطائه، واسم الكريم من أسماء الله الحسنى.

رب العرش: الرب هو المربِّي والمقصود به هاهنا: الله الذي ربى جميع مخلوقاته فكانت له السيادة المطلقة على جميع خلقه، وله الملك التام وخص العرش بالذكر؛ لأنه من أعظم المخلوقات وأجلّها ويُتبع به جميع المخلوقات من باب أولى، ولعل دعاء الشيخ

كان اقتداء في قوله تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}، وقوله: "أن يتولاك"، أي: أن يدبر لك الأمور، وما فيه نفع لك، وأن يجعلك من أهله وخاصته، وأن ينصرك على عدوه، وعدو المؤمنين، ويؤيدك برحمة منه وفضل، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}.

ولقوله تعالى: {وَاللَّـهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.

والولي اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه: "المتصرف بتدبير خلقه، وشؤونهم".

ثم دعا لمن يقرأ هذا المتن بثلاث دعواتٍ جامعة، من وُفِّق لهذه الأعمال كان من السعداء الأتقياء بإذن الله تعالى.

❖ (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ).

أي: أن يجعلك الله عز وجل سببًا لكثرة الخير ودوامه أينما تكون.

❖ (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ).

أي: يجعلك الله ممن إذا أعطي خيرًا، شكر الله على هذا العطاء، ولعل الشيخ - رحمه الله - أراد في هذا الدعاء أن تكون من الخاصة الذين قال تعالى فيهم: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.

❖ **(وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ).**

أي: إذا أصابك نوع من أنواع البلاء، لا تجزع ولا تقنط؛ فيذهب أجرك، ويعظم ذنبك، بل تصبر وتحتسب؛ فتنال عظيم الأجر وطمأنينة القلب، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.

وناسب ذكر الصبر على البلاء بعد الشكر على العطاء لمناسبة الحديث الذي رواه مسلم عَنْ أبي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

"عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ

سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْرًا لَهُ".

❖ (وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ).

ثم دعا الشيخ - رحمه الله - للقارئ دعوة ثالثة جامعة لباب السعادة، وهي الاستغفار من الذنب بعد ارتكابه، وعدم الإصرار عليه، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

ويناسب الباب ما رواه الشيخان [2] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

"إنَّ عَبْدًا أصابَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ فاغْفِرْ لِي، فقالَ رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ ثُمَّ أصابَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، قالَ: قالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ لِي، فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ".

---

(2) الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، رضي الله عنهما وعن سائر أئمة السنة.

❖ (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ).

أي: إن هذه الثلاث دلالة للفوز العظيم في الدنيا والآخرة، وجعله هذه الأمور الثلاثة عنوان للسعادة؛ لأن العبد متقلبٌ بين أحوال ثلاثة: "نعمةٍ واردة، ومصيبةٍ حاصلة، وسيئة صائبة"، وهذه الأمور الثلاثة متعلقة بأحكامٍ شرعية، فالأولى وجوب الشكر على العطاء، والثانية التحلي بالصبر على البلاء، والثالثة الاستغفار والندم على ما أصاب من الأخطاء، ومن امتثل المأمور به فيهن فقد نال السعادة والطمأنينة الأبدية بإذن الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَرَّتَينِ بِما صَبَروا وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقونَ﴾.

ومن عطف الشيخ على القارئ ورحمته به: بدأ بسؤال الله له بجزيل الخير، ووافره وفي هذا دلالة على حسن دعوة الشيخ، وحرصه على هداية الناس وتعليمهم، جزاه الله عنا كل خير.

*****

فصل ـ حقيقة الحنيفيّة والعبادة

قَالَ المُصنِّفُ رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

❖ (اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ).

أي: افهم هداك الله للاستقامة على صراطه المستقيم؛ لتحقق طاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لتنال بذلك الفوز والأجر الكبير، وقد تميز الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في رسائله بتأليف القلوب بهذا الأسلوب الجميل الجليل، الذي يحتوي في ثناياه التلطف والشفقة والمحبة.

❖ (أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ).

والحنِيفيَّة بمعناها العام: هي الإسلام الذي يتضمن الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وأما بمعناها الخاص: هي الميل عن الشرك. فيكون حينئذ المعنى العام: أن الإسلام والميل عن الشرك دينُ إبراهيم الخليل عليه السلام.

ونسب المؤلف - رحمه الله تعالى - هنا الملة لأبينا إبراهيم الخليل عليه السلام لثلاثة أسباب:

• **الأول:** لأن اليهود، والنصارى، ومشركي العرب في الجاهلية ينتسبون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فأراد بذلك تكذيب دعواهم وأنهم على غير دين إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}.

• **<u>الثاني:</u>** لأن الله جعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمامًا لمن بعده من الأنبياء قال تعالى: {إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}.

وقال سبحانه: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}.

- **<u>الثالث:</u>** لأن ذلك يناسب ما جاء فيه الكتاب الحكيم والسنة المطهرة.

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}.

وقال سبحانه: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

وقال جل وعلا: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَحْدَهُ}.

ومن السنة قول أُبَي بن كعب رضي الله عنه:

"كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعلِّمُنا إذا أصبَحْنا أن نقول: (أصبَحْنا على فِطْرةِ الإسلامِ، وكَلمةِ الإخلاصِ، وسُنَّةِ نَبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، ومِلَّةِ أَبينا إبراهيمَ حَنيفًا مُسلِمًا، وما كان مِنَ المُشرِكينَ)، وإذا أمسَيْنا مثلَ ذلك"[3].

وأما هذه الدعوة فهيَ دين الأنبياء جميعًا وأضيفت لإبراهيم عليه السلام لما تقدم.

---

(3) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند برقم (21144) واللفظ له، والطبراني في الدعاء برقم (293).

قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

وقال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

ومن السنة ما رواه مسلم عن عياض بن حمار، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ ذَاتَ يَومٍ في خُطْبَتِهِ:

"أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، ممَّا عَلَّمَنِي يَومِي هذا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ،

وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا، وإنَّ اللَّـهَ نَظَرَ إلى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إلَّا بَقَايَا مِن أَهْلِ الكِتَابِ".

❖ (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

وهذا التعبد هو دين إبراهيم المقصود آنفًا، والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والتحاكم، والذبح، والنذر، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحيايَ وَمَماتِي لِلَّـهِ رَبِّ العالَمينَ لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ﴾.

ومن أعمال القلوب، كالخشية، والرهبة، والإنابة، والخوف، والرجاء، وغير ذلك، قال رب العزة سبحانه:

﴿الَّذينَ يُبَلِّغونَ رِسالاتِ اللَّـهِ وَيَخشَونَهُ وَلا يَخشَونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّـهَ وَكَفى بِاللَّـهِ حَسيبًا﴾.

فكأن الشيخ هنا يدعوك أن تتقرب إلى الله وحده لا شريك له، مفردًا له جميع القربات والطاعات، مخلصًا له بالقول والعمل والنية، وأن يكون شعارك في ذلك اتباع قوله سبحانه:

{أَلَا لِلَّـهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

❖ **(وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ).**

أي: بدين الرسل عليهم السلام.

❖ (وَخَلَقَهُمْ لَهَا).

أي: خلقهم لهذه الملة السمحاء، التي تُفرد الله بالعبادات والقربات والطاعات.

❖ كما قال تعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وهذه الآية فيها مسائل:

- **المسألة الأولى:** أن الله عز وجل خلق الخلق لغاية عظيمة ولم يخلقهم عبثًا، قال

سبحانه: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّـهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}.

• **<u>المسألة الثانية:</u>** أن الناس خلقوا للعبادة ولتوحيدِ الله عز وجل، ولم يخلقوا من أجل الرزق، والمعيشة وغير ذلك من لهو الدنيا ومتاعها، بل خلقوا من أجل عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وقال -سبحانه-: {مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.

- **المسألة الثالثة:** أن عالم الجن تابعٌ لعالم الإنس وأن الحكمة من خلقهم عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: {وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ}.

❖ **(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ).**

أي: إذا علمت فيما مضى معنا من القول أن الله خلقك لعبادته وحده لا شريك له.

❖ (فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسمى عِبَادَةَ إِلَّا مع التوحيد).

أي: افهم أن العبادة، ويراد بها: "كل عملٍ، أو قول أحبه الله وارتضاه ظاهرًا كان أو باطنًا"، (لا تسمى)، أي: لا يطلق عليها اسم العبادة التي قبلها الله، وارتضاها وجعلها ذخرًا لصاحبها، (إلا مع التوحيد)، أي: يشترط لصحة العبادة، وسلامتها، وقبولها تحقيق التوحيد، واجتناب الشرك والتنديد، فمن زعم أنه يعبدُ الله، وهو على غير ملةِ إبراهيم، لا اعتبار لعبادته وهو كذابٌ أشر في دعواه؛ لأن أصل صحة هذه العبادة مبنيٌّ

على تحقيقِ التوحيد، واجتناب الشرك والتنديد.

وتحقيقُ التوحيد يكون: بالإقرارِ الجازمِ اللازم، وبالاعتراف الوافي التام أن مطلق الملك، والتصرف، والإرادة، والخلق، والتشريع، وغير ذلك من أفعالِ الله، أنها لله وحده لا شريك له.

وذلك بأن تعتقد اعتقادًا جازما لازما، أنه لا خالق ولا رازق ولا مالكًا لهذا العالم إلا الله، وأنه ليس لأحد في ذرات هذا العالم قدرة على التصرف والتدبير من دون الله، ويجب عليك أن تؤمن إيمانًا جازما لازما بأن مطلق التصرف، والتدبير، والتشريع لله وحده،

وأنه ليس لأحدٍ في ذلك مثقال ذرة ولا أقل من ذلك، وأن تعتقد أن العالم هذا يُدّبَرُ بأمر الله، ويُتصرف فيه بأمر الله، ويُرزق من رزق الله، ويطعم من فضل الله وحده لا شريك له، وأيضًا يجب عليك أن تعتقدَ اعتقادًا جازمًا لازمًا أن الله أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأن ليس له شريك في حكمه، كما أنه ليس له شريك في عبادته كما أنه ليس له شريك في أسمائه المعرفة وصفاته التامة.

واعلموا - رحمكم الله - أن التوحيد - وهو حق الله على العبيد - ينقسم إلى قسمين:

• **<u>الحق الأول:</u>** حقٌّ في المعرفة والإثبات، وهذا النوع يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

• **<u>والحق الثاني:</u>** حقٌّ في الإرادة والطلب، وهذا النوع يتضمن توحيد الألوهية.

فتوحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والتشريع وغير ذلك، وهذا النوع من أنواع التوحيد كان يقر ببعضه كفارُ قريش، لكن لم ينفعْهم؛ لأنه لا يصح للعبد دينٌ حتى يأتي بأصل التوحيد كاملًا، وأما إن كان مثل اليهود الذين يؤمنون

ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، فلن يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا، قال تعالى:

{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، وسوف يأتي بيان ذلك في القاعدة الأولى إن شاء الله.

وأما توحيد الأسماء والصفات: هو في الأصل جزء من توحيد الربوبية: لأنه يتناول أسماء الله وصفاته وأفعاله، لكن العلماء

أفردوه بالتسمية والتصنيف لأنه قد ضل فيه أقوام كثر.

وأما تعريفه: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، أو ما أثبته له نبيه ﷺ دون تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، وإفراده سبحانه بصفات الكمال ونعوت الجلال.

وضبط هذا النوع من أنواع التوحيد يكون بضبط خمس قواعد كلية:

• **<u>القاعدة الأولى:</u>** أن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا يجوز أن نصف الله بما لم يصف به نفسه أو يصفه به رسوله ﷺ.

قال تعالى: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عنه مسئولا}.

• **القاعدة الثانية:** قطع الطمع عن وصف الله عز وجل بالذهن، كتكييفه، أو تشبيهه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا؛ لأن عقل المخلوق قاصرٌ عن وصف المخلوق، فكيف بوصف الخالق ؟!

وقد قطع الله الطمع بقوله سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وبقوله: {فَلا تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وجماع ذلك ما رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد عن سفيان بنِ عُيينة أنه قال:

"سُئل ربيعةُ بنُ أبي عبدالرحمن عن قوله: {استوى على العرش}، كيف استوى ؟ قال: "الاستواءُ غير مجهول، والكيف غير معقول، ومِنَ الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق".

ورُويَ من عدة طرق عن تلميذه مالك - رحمه الله - أن رجلا جاء الإمام مالك فقال:

"يا أبا عبدالله، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، فكيف استوى؟ فرد عليه الإمام مالك قائلًا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال

عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يُخرج".

• **القاعدة الثالثة:** وصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وتسميته بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ.

قال تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، بعد أن نفى الله المشابهة -سبحانه وتعالى- بقوله: {ليس كمثله شيء}، أثبت لنفسه السمع والبصر بقوله: {وهو السميع البصير}.

وقال سبحانه: {قُلِ ادْعُوا اللَّـهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}.

- **القاعدة الرابعة:** أن تعلم أن تفويض الصفات، أو تحريفها عن ظاهرها تعطيلٌ، وجحودٌ لصريح الكتاب والسنة.

قال تعالى: {وَلِلَّـهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وروى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه تلا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إِلى أَهلِها}، إلى قوله تعالى: {سميعًا بصيرًا}، فقال:

"(رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه)، قال أبو هريرة: (رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها، ويضع إصبعيه)، قال ابن يونس: قال المقرئ: (يعني: "إن اللَّهَ سميعٌ بصيرٌ"، يعني: "أن لله سمعًا وبصرًا)ا".

فهذه الآية وغيرها، وهذا الحديث وغيره، بينوا بيانًا لا لبس فيه ولا شك، ما مر معنا من قواعد الإثبات.

فتظهر حينئذ هذه القاعدة واضحة جلية أن من رد آيات وأحاديث الصفات، أنه مكذب ومعطلٌ للكتاب والسنة.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ}.

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في كتاب التوحيد: "وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله: {بل يداه مبسوطتان}، أي: نعمتاه، وهذا تبديل لا تأويل".

• **القاعدة الخامسة:** أن العبد يتوجه لربه بأسمائه وصفاته، فمن عطل أسماء الله وصفاته، أو شبه الخالق بالمخلوق، أو كيفه فلازم عبادته وتوجهه لغير الله عز وجل؛ لأن من شبه الله بالمخلوق، قد شابه اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان حيث شبهوا آلهتهم بالله، وعبدوها على هذه التصاوير، والتماثيل، قال تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وأما من عطل أسماء الله، وصفاته فقد شابه الملاحدة، وعبدة الأضرحة، والأوثان حيث عبدوا إلـهًا عاجزًا أو معدومًا.

وقد عاب الأنبياء على عابدي الأوثان ذلك؛ فقال تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لأبيهِ يَا أَبَتِ لِم تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}.

وقال ابن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد: "أفليس من المحال يا ذوي الحجا، أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر :{لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر}، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر، كالأصنام التي هي من الموتان، لا من الحيوان أيضا، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء

الجهال المعطلة؟، عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع، ولا بصير".

والبراهين الدالة على صفات الله في الكتاب والسنة لا تحصر، والعمدة في هذا الباب قوله تعالى: {ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

فهذه خمس قواعد إن وفقتم لفهمها، ضبطتم هذا القسم من أقسام التوحيد بإذنه تعالى.

وأما توحيد الألوهية: فهو إفراد الله بالعبادة كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والتحاكم، والذبح، والنذر،

والخشية، والرهبة، والإنابة، والخوف، والرجاء، وغير ذلك.

وهذا النوع - بإذن الله تعالى - هو ما سنتناوله بطوله في القواعد التي ستأتي معنا؛ لأن هذا القسم من أقسام التوحيد هو أكثر قسم وقع فيه المشركون قديمًا وحديثًا، وترى البعض منهم يقر بتوحيد المعرفة والإثبات، لكنه ينقض ذلك في صرف العبادة لغير الله الذي يقر له بالربوبية، والملك، والتدبير، وسوف يظهر لكم ذلك جليًّا - بإذن الله - في القاعدة الأولى.

والقاعدة الجامعة لهذا الباب: صرف العبادة لله توحيد، وصرفها لغير الله شركٌ وتنديد.

ويكون ذلك بالإقرار الجازم اللازم والإيمان الثابت التام أن العبادةَ حق محضٌ لله، لا تصرف لأحدٍ غيره أبدًا، وأن من صرفها لغيره كان مشركًا.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

وقال ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبدالله: "مَن لَقِيَ اللَّـهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ".

❖ **(كما أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ).**

ضرب الشيخ هاهنا مثالًا؛ لأن بالمثال يتضح المقال، وما زالت العرب توضح المعاني، والمقاصد بالأمثلة، حتى أكد ذلك وجاء به الكتاب والسنة، قال رب العزة سبحانه في محكم التنزيل:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ}.

وقال ﷺ: "إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ" (4).

---

(4) أخرجه البخاري برقم (2101)، ومسلم برقم (2628) باختلاف يسير.

والمقصود من المثال الذي ضربه الشيخ رحمه الله: المشابهة في فساد العمل بسبب دخول الناقض عليه، واعلموا أن الشرك شركان: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر.

وأما الشرك الأكبر: فهو مساواة الغير مع الله تعالى، حيث يصرف لغير الله نوع من أنواع العبادة، وهذا النوع مخرجٌ من الملة محبطٌ للأعمال، ومن أنواعه: شرك العبادة، وشرك الطاعة، وشرك المحبة، وشرك الإرادة والقصد، وشرك الدعاء، وغير ذلك.

وسوف يأتي معنا بيان أنواع الشرك بطولها في موضعه إن شاء الله.

وأما الشرك الأصغر: فهو ذنب دون الشرك الأكبر، يقدح بكمال التوحيد، لكن لا يزيل أصله بل يبقى أصله موجودًا.

ويجمع في خمس قواعد:

• القاعدة الأولى من قواعد الشرك الأصغر:

جعل ما ليس بسبب قدري أو شرعي - لم يدل عليه قدرٌ ولا شرع - سببًا، ما لم يجعل هذا السبب نافعًا أو ضارًا بذاته.

• القاعدة الثانية: القسم بغير الله وصفاته: ما لم يعظم المحلوف به كتعظيم الله، وما لم يعظم الشرك والكفر بالله.

• **القاعدة الثالثة:** عطف مشيئة الغير على مشيئة الله، ومنها قول القائل: "لولا الكلب ما سرقنا"، نص عليها ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إذا لم يساوِ المخلوق بالله اعتقادًا، أو تصريحًا.

• **القاعدة الرابعة:** كل وسيلة، أو ذريعة موصلة للشرك الأكبر، فهي شرك أصغر.

• **القاعدة الخامسة:** كل أمر أطلق عليه شرعًا اسم الشرك غير معرف بالألف واللام مع ثبوت إيمان صاحبه: فهو شرك أصغر، ما لم يدل دليل على نفي إيمان مقترفه.

وهناك شرك خفي خافه علينا النبي ﷺ فقال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء" [5]، وهذا الشرك لو استرسل يفسد العمل، وقد يوصل صاحبه إلى المروق من الإسلام. قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - في جامع العلوم والحِكم:

"العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضًا، كحال المنافقين، قال تعالى: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ إِلاَّ قَلِيلاً}، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (23630) واللفظ له، والبغوي في شرح السنة برقم (4135).

فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج، أو غيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وإن كان أصله لله ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أو لا؟ فيجازى على أصل نيته، فيه خلاف، رجح أحمد وغيره لا يبطل بذلك، وأنه يجازى

بنيته الأولى".

❖ (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّـهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّـهِ الَّذِي قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾).

أي: إذا علمت ووعيت على خطورة الشرك الأكبر، التي تفسد الأعمال، وتجعلها هباءً منثورًا، وتجعل صاحبها خالدًا مخلدًا في نار

جهنم، علمت حينئذ أن من أهم الواجبات عليك أن تعرف الشرك وأنواعه؛ كي تحذره وتتخذ سبل الوقاية منه؛ لتنجو من هذا الضلال، والهلاك العظيم.

وهاهنا مسائل مهمة وجب ضبطها:

- **المسألة الأولى:** أن الله لا يقبل من المشرك صرفًا ولا عدلًا، قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

وقال سبحانه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}.

• **المسألة الثانية:** أن من مات وهو مرتكبٌ للشرك الأكبر، كان خالدًا مخلدًا في نار جهنم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّـهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرًا}.

وقال تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّـهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

• **المسألة الثالثة:** أن معرفة الشر؛ لاجتنابه من أهم مسائل الشريعة.

روى مسلم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: "كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي".

ونظم على ذلك الشاعر فقال:

عَرَفتُ الشَّرَّ لا لِلشَّ *** رِّ لَكِن لِتَوَقِّيهِ.

وَمَن لَم يَعرِفِ الشَّرَّ *** مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ!

• **<u>المسألة الرابعة:</u>** أن من حقق التوحيد، وخلص من الشرك، كان له الأمن يوم القيامة، ومآله للجنة لا محالة.

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}.

وروى الشيخان عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: كنتُ رَدِيفَ النَّبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: "يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شَيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا".

• **المسألة الخامسة:** أن الشرك والكفر رديفان متى أطلق أحدهما أريد فيه الآخر فهما يتفقان في الحكم ويختلفان في الوصف،

ويبين ذلك قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّـهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}، وغير ذلك من الأدلة.

• **المسألة السادسة:** أن ما دون الشرك والكفر الأكبر مرجو لصاحبه المغفرة، وإن كانت كبيرة من كبائر الذنوب، وهذا خلافٌ للخوارج والمعتزلة الذين أهلكوا الناس، وأكفروهم بمجرد ارتكاب المعاصي

والذنوب، أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك، قال تعالى في محكم التنزيل:

{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّـهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

❖ **(وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّـهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ).**

أي: تخلص من الشرك وشباكه - بإذن الله - بمعرفة هذه القواعد الأربع، التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة وضبطها وفهمها؛

لأن أعظم خير: هو التوحيد، وأعظم شرٍّ: هو الشرك والتنديد، فمن علم ذلك، علم أن خلاصه بمعرفة التوحيد وتحقيقه وبمعرفة الشرك واجتنابه.

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّـهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}.

فغاية هذه القواعد هي: التفريق بين دين المسلمين ودين المشركين، وذلك بمعرفة دين الرسل وبمعرفة نقيضه دين المشركين

وحالهم، واستمد الشيخ - رحمه الله تعالى - ذلك من الكتاب والسنة، واقتصر على ذكر الكتاب؛ لأن السنة تبع للكتاب قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

وقال سبحانه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

هذا والله أعلى وأعلم.

*****

فصل ـ القاعدة الأولى

قال الشيخ مُـحمَّـد رحمه الله تعالـى:

❖ **(القاعدة الأولى).**

القاعدة في اللغة: يراد بها: الأساس.

وهذه القواعد كل واحدة منها، تعد أساسًا من أسس هذا الدين الحنيف.

ومعناها الاصطلاحي: هي الأمر الكلي، المنطبق على جزئيات كثيرة، يفهم منها أحكام هذه الجزئيات.

والمراد هنا: المعنى اللغوي، لا الفقهي؛ لأن أهل الأصول غالب إطلاقهم للمصطلحات، يكون مستمدًا من أصل العربية، منضبطًا بظاهر القول.

ولو أراد فيه الاصطلاح الفقهي؛ لجاز على أن هذه القواعد قواعد التوحيد، واستناد المسائل ومردها لها.

❖ (عليكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّـهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}).

ومراد قول الشيخ ـ رحمه الله ـ هاهنا: أن تفهم أن النبي ﷺ قاتلَ المشركين مع إقرارهم بشيءٍ من توحيد الربوبية، ولم يعصم دماءهم، وأموالهم، ويحكم بإسلامهم بمجرد هذا الإيمان الكاذب، ثم استدل بقوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّـهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

ووجه الدلالة من ذكر هذه الآية: إقرارهم أن الرزق، والملك، والإحياء، والإماتة، والتدبير كلُّه لله وذلك في قوله تعالى: {فسيقولون الله}، ومع إقرارهم هذا أنكر الله عليهم عبادة غيره إذ قال: {فقل أفلا تتقون}، فقوله تعالى: {أفلا تتقون}، منكرًا عليهم ما جنوه من شرك، وكفر في الألوهية، وذلك برهانٌ على عدم انتفاعهم بما آمنوا به من الربوبية.

وتحت هذه القاعدة مسائل لا بد من ضبطها وفهمها فهمًا جيدًا:

• **<u>المسألة الأولى:</u>** أن كفارَ قريش كانوا يقرون ببعض مسائل الربوبية، لكن لم ينفعهم ذلك؛ لأن لا يتم للإنسان دينٌ حتى يأتي بأصل التوحيد تامًا.

قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

وقال سبحانه: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّـهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّـهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

• **المسألة الثانية:** أن أقسام التوحيد متلازم بعضها مع بعض، ولا ينفك أحدها عن الآخر، من أخل بقسمٍ منها كأنما أخل بها جميعًا.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

وقال سبحانه: {قُلِ ادْعُوا اللَّـهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}.

وصريح ذلك ما رواه الترمذي عن عدي بن حاتم الطائي - رضي الله عنه - أنه قال: "أتيت النَّبيَّ ﷺ فسمعته يقرأ هذه الآيةَ:

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّـهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، قال: فقلتُ له: إنَّا لسنا نعبدُهم، قال: أليسَ يحرمونَ ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمونَه، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحلُّونَه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم".

فتبين هذه الأدلة بيانًا لا لبس فيه، أن من صرف عبادة لغير الله قد اتخذ معبوده ربًّا من دون الله، ومن هنا يظهر لك حقيقة التلازم بأن الله عرف بأسماءٍ، وأوصاف يتقرب له العبد بدعائه إيَّاها.

فمن صرف لغيره شيئًا فقد اتخذ غيره ربًا كما أن من وصف غيره بوصفه، أو عطل صفاته، أو ألحد بأسمائه أنه توجه لغيره سبحانه وتعالى.

• **المسألة الثالثة:** أن الدماء والأموال لا تعصم إلا بتحقيق التوحيد، ولا يكون ذلك بتحقيق بعضه ونقض بعضه.

قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّـهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى.الظَّالِمِينَ}.

وروى الشيخان عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله تعالى".

وسوف يظهر لنا ذلك جليًّا في القاعدة الثالثة إن شاء الله.

- **<u>المسألة الرابعة:</u>** من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه، لا يكون مؤمنا إلا بالإيمان بالكتاب كله، ولا يصح له إسلامٌ إلا بذلك.

قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}.

ويبين ذلك ما رواه مسلم عن بريدة أن النبي ﷺ قال: "وإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فأَيَّتُهُنَّ ما أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ منهمْ، وَكُفَّ عنْهمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلى الإِسْلَامِ، فإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ منهمْ، وَكُفَّ عنْهمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِمْ إِلى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إنْ فَعلُوا ذلكَ فَلَهُمْ ما لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعليهم ما علَى الْمُهَاجِرِينَ، فإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا منها، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عليهم حُكْمُ اللهِ الذي يَجْرِي علَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكونُ لهمْ في الغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شيءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مع الْمُسْلِمِينَ، فإِنْ هُمْ

أَبَوْا فَسَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فإنْ هُمْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ منهمْ، وَكُفَّ عنْهمْ، فإنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ باللَّـهِ وَقَاتِلْهُمْ".

وما رواه الشيخان عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: قالَ رَسولُ اللَّـهِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ:

"إنَّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّـهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّـهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّـهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ

أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّـهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ".

*****

فصل ـ القاعدة الثانية

❖ (القاعدة الثانية: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ).

أي: يقول المشركون: ما أردنا في ذلك مساواة المخلوقين بالله عز وجل بالتدبير والملك والتصرف وغير ذلك من أفعاله، بل أردنا بذلك القربة لإحراز الرفعة والكمال وأردنا الشفاعة؛ لدفع النقائص، والآثام فكذب الله دعواهم وبين أنه عين الشرك في قوله:

❖ ({وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}.

ودليل الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّـهِ}).

فقد أبطل الله دعواهم في هذين الآيتين وبين أن ما طلبوه من القربة والشفاعة من هؤلاء هو محض البعد، والعداء لله سبحانه، وأن ما فعلوه هو عين الشرك والكفر بالله.

فخلاصة القول: أنه لما احتج المشركون قديمًا وحديثًا بحسن النية والمقصد، وأنهم ما أرادوا بذلك إلا توفيقًا وإحسانًا كما قال المنافقون:

{فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}، فكذب الله دعواهم التي زينها لهم الشيطان، وحكم عليهم سبحانه بالشرك والكفر بمحكم التنزيل، وأخبر أن دعواهم هذه ليست بنافعةٍ لهم، وأن عليهم وعلى من زينها لهم الوزر، والخزي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى مخبرًا عن قول الهدهد لسليمان:
{وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ من دون اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}.

وقال تبارك وتعالى: {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مستبصرين}.

وقال تعالى في إبطال هذه الدعوة الكاذبة:
{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ من دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}.

وقال سبحانه: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صنعًا}.

وقال جل وعلا: {إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ويحسبون أنهم مهتدون}، وغيرها من الآيات.

فالشرك بالله مع ادعاء حسن القصد والنية، هو زيف وغرور وضلال عن الهدى؛ لأن الشرك مستوجبٌ للاستنقاص من الله -عز وجل- بجعل الوزير والمثيل والمعين له، ومن المعلوم عند ذوي الحجا أن الوزارة والشورى والإعانة تكون لمن يعتريه النقص والضعف، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى:

❖ (وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّـهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّـهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ

لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}).

فذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - هاهنا أقسام الشفاعة وتعريفها:

• **القسم الأول:** الشفاعة المثبتة، وهي التي تتحقق فيها شروط الشفاعة من الإذن والرضى، وهذه لا تكون إلا يوم القيامة، فالشرط الأول من شروط الشفاعة: الإذن للشافع؛ لأنه ليس لأحد أن يتجرأ ويشفع عند

الله ما لم يأذن له، وهذا لعظمته وجلاله وكبريائه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: {قُل لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}.

وقال: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}.

وقال: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا من بَعْدِ إِذْنِهِ}.

وقال: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّـهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى}.

والأدلة على أن الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله كثيرة جدًّا، ولو عقل الإنسان لعلم أنه لا يتجاسر لذلك أحد ما لم يؤذن له من خشية ومهابة الجبار

والشرط الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له، قال تعالى في سورة الأنبياء: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}، وقوله تعالى في سورة طه: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}، والرضى من الله لا يكون إلا لأهل الإسلام كما قال تعالى في سورة مريم: {لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

"الْعَهْد: شهادة أن لا إله إلا اللَّـه، وَيَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّـهِ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةَ وَلَا يَرْجُو إِلَّا الله عز وجل" (6).

---

(6) رواه الطبري في تفسيره.

وقول حبر الأمة ابن عباس - رضي الله عنهما - دلالة واضحة أنه لا ينال هذا العهد والرضى إلا أهل الإسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}.

وقوله: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}.

وقوله: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}.

فهذه الشفاعة لا تكون نائلةً يوم القيامة، إلا لمن ارتضاه الله، وأذن للشافع أن يشفع له، وهذه ليست بملك أحدٍ إلا الله فهو الذي يأذن وهو الذي يرضى سبحانه وتعالى.

• **<u>القسم الثاني:</u>** الشفاعة المنفية: هي التي لم تتحقق فيها أركان الشفاعة من الإذن والرضى، ومثال ذلك: ما يفعله أهل الشرك من طلب الشفاعة من الأموات أو الملائكة أو الجن أو ممن يعتقدون صلاحهم، وهذا النوع من الشرك هو الذي قصده الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله - في الناقض الثاني: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم».

وأما وجه شرك هؤلاء حيث جعلوا لله ندًّا ووزيرًا - تعالى عن ذلك - وطلبوا من غير

الله ما لا يقدر عليه إلا الله، كذلك طلبوا الغيبيات من غيره، وتوكلوا عليهم وطلبوا منهم ما لا يجرؤ أحد على القيام به ما لم يرض الله ويأذن به، قال الله تعالى: {قُل لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}، وقال جل شأنه: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

وقال: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّـهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى}.

• **فأما الأول:** فهو جعلهم لله شريكًا في الغيبيات، وعلم الغيب مما أفرد الله نفسه بمعرفته وأنه لا شريك له بذلك، وتوعد من يطلب ذلك من غيره أشد الوعيد، وأجمع أهل العلم أن طلب الغيبيات عبادة؛ لأن الله رضيها لنفسه، قال سبحانه: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}، وقال: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}، وقال: {قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

وقال سبحانه: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ}.

وقال: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}.

- <u>**وأما السبب الثاني:**</u> طلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله، وهذا لا شك أنه استنقاصٌ من ذات الرب، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا، وهذا هو عين شرك قريش، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}.

وقال سبحانه: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}.

• **<u>والسبب الثالث:</u>** تعلق القلوب بغير الله والتوكل عليها، وهذا هو عين شرك كفار الجاهلية حيث يعبدون الأصنام والأوثان وغيرها من دون الله لتيسر لهم الأسباب في الحياة ولتنجيهم من العثرات والبلاء، وكثير منهم في حقيقة الأمر لا يخشون الآخرة، وهم في ريب منها، لكن يفعلون ذلك ليتوكلوا عليهم في شؤونهم وأعمالهم، قال

الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}.

قال تعالى: {مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ}، قال ابن كثير- رحمه الله - في تفسيره:

"يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد، أو وزير أو عديل،

لا إله إلا هو ولا رب سواه".

فبين ابن كثير - رحمه الله تعالى - أن شرك هؤلاء الطالبين من غير الله - لا يقدر عليه إلا الله - من ناحية شرك العبادة لغيره، ومن ناحية شرك التوكل على غيره، تعالى الله عن ذلك.

والتوكل وتعليق القلب بالمألوه عبادة يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له قال الله تعالى: {وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ}، وقوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّـهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}، وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

ذُكِرَ اللَّـهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، وقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

• وأما السبب الرابع في كون طلب الشفاعة المنفية من غير الله شركًا وكفرًا: هو في تكذيبهم لصريح الكتاب الذي دل على عدم استجابة الأموات لهم، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّـهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

وقوله تعالى: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءِ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}، وقوله تعالى: {إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

وأيضاً ما ثبت في السنة من تقريع النبي لكفار قريش قال رسول الله ﷺ يوم بدر:

"يا أَبَا جَهْلِ بن هِشَامٍ، يا أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ، يا عُتْبَةَ بن رَبِيعَة، يا شيبَةَ بن رَبِيعَةَ، أَلِيسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما

أَنْتُمْ بأسمع لما أقول منهمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ" (7).

فبينت هذه الأدلة بيانا لا لبس فيه ولا ريب، أن الأموات لا يستجيبون وسمى الله هذا شرك، وفي هذا كفاية ولمن أراد الزيادة فليراجع رسالتي "حقيقة الشفاعة عند أهل السنة والجماعة".

ويدخل في الشفاعة المنفية الجزم في الشفاعة لمن لم يدل الدليل عليه، كمن يقول:

(7) أخرجه مسلم في صحيحه من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم (2874).

"إن فلانًا من الشافعين"، فهذا كذب على الله وتألى عليه، نعوذ بالله من ذلك.

وقد كثر هذا النوع في العصور المتأخرة في الطوائف الضالة المبدلة لدينها حيث يدعون أن علماءهم وزهادهم من المرضيين، ويطلبون منهم الشفاعة، وهؤلاء الذين جعلوا لله الوزراء والأنداد دلت الأدلة القطعية على كفرهم، لكذبهم على الله وتألِّيهم عليه سبحانه، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

وقال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}.

وروى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبدالله - رضي الله عنه - عن رسول ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قال:

"(والله لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ)، وإنَّ الله تعالى قال: (من ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)".

الشاهد من الحديث: أن هذا الرجل تألّى على الله، وحكّم عليه قوله فأحبط الله عمله جزاء بما افترى.

فخلاصة القاعدة: أن طلب المشركين للشفاعة والقربة من غير الله عز وجل شرك، وأن دعواهم في حسن النية والمقصد غير معتبر بها في محكم التنزيل، وأن الشفاعة منها ما هو مثبت ومنها ما هو منفي، والشفاعة المثبتة لا تكون إلا بشروط الشفاعة الإذن والرضى، ولا تكون إلا يوم القيامة، والمنفية ما دون ذلك.

والكلام عن الشفاعة هنا المراد بها: الشفاعة المعروفة اصطلاحًا بشفاعة بعض الناس عند الله عز وجل، لا المراد بها لغة مما يكون بين الناس، وأما شفاعة الناس بعضهم بين بعض ليست هي المقصودة هنا، وتلك قد بيناها في رسالة: **"حقيقة الشفاعة عند أهل السنة والجماعة"**، وتنقسم لمستحبة ومحرمة، ومن أراد الازدياد؛ فليراجع الرسالة، والله ولي التوفيق.

*****

فصل ـ القاعدة الثالثة

❖ (القاعدة الثالثة: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسِ من المشركين مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ).

أي: إنهم متفرقون من ناحية المألوه الذي يعبدونه، ومع اختلافهم في مألوهاتهم لم يفرق النبي ﷺ، بل حكم بإكفارهم جميعًا.

❖ **(وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}).**

أي: إن النبي ﷺ قاتل المشركين ولم يفرق بين معبوداتهم، بل قاتلهم جميعًا واستدل بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}، والفتنة المقصودة في الآية: الشرك والكفر، نص على ذلك أرباب التأويل: كابن عباسٍ، ومجاهد، وابن أبي حاتم، والطبري، وغيرهم من الأعلام المرضيين.

فيكون حينئذ تأويل الآية: "قاتلوا المشركين حتى يضمحل الشرك ويفنى، ويحيا التوحيد وينتشر".

والأدلة الدالة على وجوب قتال المشركين حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية وهم صاغرون، أكثر من أن تحصر، قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

وقال تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ

مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}.

وروى الشيخان عَن ابن عُمَر - رَضِيَ اللَّه عنْهَما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ".

وروى مسلم عن طارق الأشجعي أن النبي ﷺ قال: "مَنْ قال لَا إلهَ إلَّا اللهَ، وكفَرَ بما

يعبُدونَ مِنَ دونِ اللهِ، حرُمَ مَالُهُ، ودَمُهُ، وحسابُهُ على اللهِ عزَّ وجلَّ".

بل من أجل ذلك قام سوق الجهاد، وعقدت الألوية والكتائب، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}.

وقوله ﷺ كما أخرجه البخاري وغيره: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله".

فمن أجل ذلك شرع القتال، لإزالة الشرك والأوثان، ولنشر التوحيد والإيمان.

❖ (وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}).

الآية فيها مسائل:

• **المسألة الأولى:** أن من آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته: الليل، والنهار في تعاقبهما، ويدل على ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}.

والشمس والقمر في تعاقبهما قال سبحانه:

{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}.

• **المسألة الثانية:** النهي الجازم اللازم عن إشراك شيء مع الله عز وجل مهما كان المخلوق عظيمًا جليلًا ولو كان العرش، بل الأمر بإفراد العبادة لله وحده لا شريك له، ولا يصح إسلام العبد إلا بذلك، قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}.

• **المسألة الثالثة:** أن من اتخذ مع الله إلهًا عبادته باطلة قال تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}؛ لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك

معه غيره تركه وشركه، كما في الحديث القدسي عند الإمام مسلم رحمه الله: "قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ"، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: {إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ}، وأراد الشيخ فيها بيان كفر عبدة الآيات الكونية.

❖ (وَدَلِيلُ المَلاَئِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}).

والآية فيها مسائل:

- **<u>المسألة الأولى:</u>** أن الله يبغض الكفر والشرك ولا يأمر به؛ قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّـهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}.

- **<u>المسألة الثانية:</u>** دلالة الآية على أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر بالله، وذلك بقوله: {أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}.

وأراد الشيخ بها بيان كفر عبدة الأنبياء والملائكة.

❖ **(وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّـهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}).**

في هذه الآية مسائل:

- **المسألة الأولى:** براءة عيسى عليه السلام وأمه من دين النصارى عبدة

الصلبان، وأنه منهم ومن كفرهم براء، وأنه عبد الله ورسوله.

• **المسألة الثانية:** أن ليس لأحدٍ أن يقول على الله، أو في الله بشيء دون أمرٍ من الرب تبارك وتعالى، وذلك كالتحليل والتحريم، وأما الشرك فهو مقطوعٌ برفضه، تعالى الله عنه علوًا كبيرا.

• **المسألة الثالثة:** بيان أن في الأرض آلهة كثيرة، لكنها كلها باطلة، وهذا يبين سلامة نهج أهل السنة الموافق للدليل في تعريف الشهادة: أنها لا معبود بحق إلا الله، ويدل

على ذلك قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.

• **المسألة الرابعة:** إثبات النفس[8]، وإثبات صفة علم الغيب، لله عز وجل، بما يليق بعظيم جلاله وسلطانه دون تحريف، ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

وأراد الشيخ بها بيان كفر النصارى عبدة المسيح عليه السلام.

---

(8) قال ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى: "نَفْسُه هي ذاتُه المُقدَّسَةُ"، وقال أيضًا: "يُرادُ بنَفْس الشَّيءِ ذاتُه وعينُه، كما يُقال: رأيتُ زيدًا نفْسَه وعَينه، وقدْ قال تعالى: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)، وقال تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)، وقال تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)".

❖ **(وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾).**

وهذه الآية نزلت في أناس كانوا يشركون مع الله غيره ثم تاب الذين عبدوهم، وظل المشركون على ضلالهم وخزيهم. وفيها عدة مسائل:

• **المسألة الأولى:** أن من لم يرضَ بعبادة المشركين له، وكفر بشركهم أنه معافى عند الله من ذنب المشركين قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ}.

- **المسألة الثانية:** في هذه الآية إثبات لأركان العبادة الثلاث: المحبة والرجاء والخوف، فلا بد للعبد أن يتقرب إلى الله بمحبته، وبالخوف منه، وبرجاء ما عنده من الثواب والفضل؛ لتقبل عبادته.

قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}، وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

وقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خاشعين}.

فمن أنكر هذه الأركان، أو قال أتوجه إلى الله بشيء منها دون الآخر؛ فهذا مارق من الإسلام؛ لأن الله سبحانه وتعالى: خوَّف

الناس من عذابه، فمن ذا الذي يجرؤ على ألا يخاف عذابه، ويتحدى عقابه؟!

ومن لا يحب الله أو نعيمه، حرمه الله تلك النعمة وكبه في النار؛ لأنه اتخذ من دونه محبوبًا يحبه أكثر منه.

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّـهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّـهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّـهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}.

وكذلك من لم يرج من الله الغفران والفضل، وقال: لا حاجة لي بذلك، حرمه الله هذا

الفضل والخير؛ لما اعتراه من ضلال، واستغناء بتكبره وتعجرفه عن فضل الله.

قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، فمن قال: أنا أدعو بالخوف دون الرجاء، أو بالرجاء دون الخوف، أو بالمحبة دون الخوف والرجاء، فهو معارض لأمر الله، جاحد لفضل الله عليه، مستكبر على دين الله قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّـهِ قريب من المحسنين}.

وجاء في الحديث القدسي أن الله يقول: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا

أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة" (9).

وروي من غير وجه عن مكحول - رحمه الله - أنه قال: "من عبد الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده؛ فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده؛ فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن موحد".

فلا بد أن تجتمع هذه الأركان ليصح العمل ويُقبل.

(9) أخرجه ابن حبان في صحيحه، والبزار في مسنده، وابن المبارك في كتاب الزهد، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

وأراد الشيخ بها بيان كفر عبدة الصالحين، كعباد القبور والأضرحة.

❖ **(وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}).**

وهي أصنام كان يعبدها مشركو العرب.

❖ **(وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "خرجنا مع رسولِ اللهِ ﷺ إلى حُنينٍ، ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندَها، وينُوطون بها**

❖ **أسلحتَهم يُقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسولَ اللهِ اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ فقال ﷺ: اللهُ أكبرُ! إنها السننُ قلتم - والذي نفسِي بيدِه - كما قالت بنو إسرائيلَ لموسَى: {اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}").**

وفي الأثر مسائل:

• **المسألة الأولى:** أن مشابهة المشركين من المحرمات التي نصت عليها الشريعة.

حيث غلظ النبي ﷺ الإنكار لما طلبوا منه مشابهة الكفار، ونظيره من التغليظ والتشديد ما قاله حذيفة - رضي الله عنه - لما رأى رجلًا في عضده خيط، تلا قوله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}.

• **المسألة الثانية:** هذا الحديث فيه دلالة على الشرك الأصغر، وأنه حاصلٌ في هذه الأمة، وليس قولهم محمولًا على ذات الحكم؛ لأنهم لم يطلبوا العبادة، بل طلبوا من الذي ينزل عليه التشريع سدرة للبركة، لكن الشريعة جاءت بسد الذرائع.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الداء والدواء:

"ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء، أخذه بجميع أحكامه".

• **المسألة الثالثة:** وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والغيرة على محارم الدين كما هو هدي النبي ﷺ.

قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}.

وروى مسلم عن أبي سَعِيدٍ - رضي الله عنه - أنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ".

وما أجمل ما يقوله شيخ المتأخرين ابن تيمية - رحمه الله - في ذلك، كما في كتابه (الاستقامة):

"مَن لا يغار إذا انتُهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله؛ فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام؛ فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه".

وبهذا نكون انتهينا من القاعدة الثالثة بفضل الله ومنه، والمقصود من هذه القاعدة: بيان أن مناط كفر المشركين عبادة غير الله دون النظر إلى المعبود ومنزلته؛ فمن يعبد العرش والسماوات والأراضين والأنبياء والملائكة، كمن يعبد الشجر والحجر

والقبور والأضرحة، لا فرق بينهم البتة، كلهم كفار مشركون، يجب قتالهم وجهادهم حتى يكون الدين كله لله.

*****

فصل - القاعدة الرابعة

❖ (القاعدة الرابعة: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُون فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشَّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِم فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ).

المقصود من هذه القاعدة: بيان غلظة شرك أهل زمان الشيخ، ومن بعدهم، وأنهم أغلظ شركًا من الأولين، وإذا بان ذلك، ظهر لكم جليًّا واضحًا أن ما تقدم في حق كفار الجاهلية، من قتال، وتكفير، أهل زماننا أولى به؛ لأنهم ينتسبون لديننا الحنيف

وينقضونه، ولأن كتاب الله وسنة النبي ﷺ بين ظهرانيهم، فيحرفونها.

فخلاصة القاعدة وبيانها: أن ما مر معك في حق الكفار وشركهم هو في أهل زماننا أولى وأثبت، وفي هذا رد الشيخ على من أخرج المنتسبين للإسلام من هذه القواعد الثلاث، وبين أنهم أغلظ كفرًا وشركًا، وأنهم أحق بالتكفير والقتال من سالفهم.

❖ (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}).

وفي هذه الآية مسائل:

- **المسألة الأولى:** على أن الدعاء عبادة وصرفه لغير الله شرك.

- **المسألة الثانية:** أن الإخلاص يتناول عمل الجوارح، والبواطن فمن جعل لله ندًّا؛ فليس بمخلص، وإن ادعى ذلك.

- **المسألة الثالثة:** أن الله يستجيب دعاء التائب إن تاب وأخلص، ويمهله فإن عاد لكفره وضلاله أخذه أخذ عزيز مقتدر وكبه في النار.

وهناك علل غير هذه العلة التي ذكرها الشيخ نص عليهن الشيخ - رحمه الله تعالى - في كشف الشبهات وهن فوق العشر علل:

- **منها:** أن المشركين الأوائل كانوا يدعون مع الله خلقًا مقربين، وبخلافهم المتأخرون، فإنهم يدعون مع الله الفجار والفسقة والطواغيت.

- **ومنها:** أن المشركين الأوائل لا يشركون بالله في شيء من الملك والتصرف العام، وأما مشركو زماننا جعلوا لمن يعظموهم مُلكًا وتصرفًا بالكون.

• **<u>ومنها:</u>** أن أولئك كان بعضهم عنده حسن القصد أن معبوده يشفع له، وأما مشركو زماننا قد اتخذوا آلهتهم نافعة وضارة بذاتها.

• **<u>ومنها:</u>** أن مشركي الأوائل كانوا يقرون بشيء من توحيد الربوبية، ويلحدون في الألوهية، وأما مشركو زماننا يلحدون في جميع أقسام التوحيد.

• **<u>ومنها:</u>** أن مشركي الجاهلية كانوا يقرون بشركهم، وأما مشركو زماننا ينافحون عن شركهم ويقولون: هو محبة وتوحيد.

• **ومنها:** أن مشركي الجاهلية كانوا لا يطلبون كل شيء من آلهتهم، بل أحيانًا يقرون أن آلهتهم تعجز عن أشياء؛ فيطلبونها من الله، أما مشركو زماننا فيطلبون كل شيء من مشايخهم وطواغيتهم.

• **ومنها:** أن شرك الأوائل كان أكثر في طلب حوائجهم الدنيوية، وأما شرك المتأخرين أكثره في طلب الغيبيات.

• **ومنها:** أن مشركي الجاهلية يعظمون بعض شعائر الله، كالعهد والذمة، وأما مشركو زماننا، فلا عهد لهم ولا ذمة.

وغير ذلك من العلل التي تبين أن مشركي زماننا أغلظ وأشد كفرًا، وبهذا يتضح معنا أن ما كان في أولئك من أحكام فهو في هؤلاء المشركين من باب أولى، والله المستعان.

هذا والله أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

*****

انتهى شرح المتن بفضل الله ومَنّه.

تم بحمد الله